اسراره الا أصحابه . ومن التجني ان ننتظر من قارىء القصص البوليسية العادي ان يفقه التعقيدات النفطية الاحتكارية التي اودت بحياة اميليو بيتري ، ولا سيما عندما تلعب ادوارها على مسرح الشرق الاوسط وتختلط بتعقيدات الدبلوماسية العربية والدولية والعمل الفلسطيني (الذي يحتاج وحده الى مسلسلات من قصص « من الجاني ؟ ») . وتزداد القصة تعقيدا بدخولها اسرار العلوم والتقنية . ويمكن للقارىء هنا أن يريح نفسه بأن يأخذ الموضوع على علاته ويعتبره انطلاقة شعرية تجوز للاديب دون العالم . ولكنني لم استطع ذلك لانني اعرف الجهود التي بذلتها باملا في التدقيق والحصول على معلوماتها العلمية من مكاتب الأبحاث النفطية الجامعية . انها ليست انطلاقة وانما عبأ جديد ينوء به المخ والمخيخ والنخاع الشوكي لاي قارىء غير محروم من هذه الاعضاء .

لقد اعطى تولستوي الخلود لقصته « الحرب والسلم » بأن سخر التاريخ والسياسة كخلفية تخدم النماذج والعناصر الانسانية في القصة . باملا فرغسن فعلت العكس تماما . لقد سخرت شخصيات القصة كخلفية لخدمة الفكرة السياسية.

لقد زجت نفسها في احدى الفقرات الى تفسير قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وامتناع اسرائيل عن التنفيذ . وعندما يحاول الاعلام الصهيوني تحميل الفدائيين مسؤولية قتل بيتري ، يأتي رد الكاتبة ناطعا « لقد أصبحت الموضة في هذه الايام تحميل الفلسطينيين وزر اي عمل عنفي » .

لقد قضت باملا فترات متقطعة في الشرق الاوسط واعطاها ذلك الفرصة لاظهار مواهبها الادبية في فقرات مشرقة . ومن صورها التي خلدت في ذهني صورة القدس بصلبانها وهوائيات تلفزيوناتها مطبوعة على صفحة السماء . وتعكس قصتها نماذج حية من اخلاقيات وطباع سكان المنطقة رغم الامتعاض الذي اثارته في نفسي معالجتها لرجل الكنيسة الارثوذكسية .

لقد اختارت الكاتبة لنفسها منفذا من أصعب المنافذ لمعالجة موضوع سياسي ، منفذ الادب البوليسي.قد يؤدي من الخدمة ما لا تؤديه الابحاث السياسية ولكن نصيب المؤلف فيه سيبقى نصيبا غير محمود ولا سيما عندما يقع بيد ناقد مثلي ابتلى بمعدة لا تهضم الشحم ولا اللحم ولا الادب البوليسي .

خ.ق.

[٢]

ومن البديهي القول أن مجلة « شؤون فلسطينية » ما كانت لتعبأ بنشر مراجعة لهذه الرواية لو لم تكن احداثها ووقائعها تجري بين فلسطين المحتلة وبيروت ولندن ، ولو لم تكن تحكي بصورة جزئية ولكنها رمزية حكاية ما يجري حاليا على مسرح الشرق الاوسط . ومع ان المؤلفة نفسها ربما كانت اول من يعترف بأن لا قيمة ادبية لروايتها ، اذ أنها من النوع الذي يتوسل الاثارة عمدا ، فان الغرض الذي ترمي اليه من ورائها هو سياسي ،ودافعها اخلاقي .

ولا تخفي المؤلفة تعاطفها مع الفلسطينيين وعطفها على قضيتهم العادلة . فهي تعتبرهم الضحية المأساوية لمؤامرة اشترك فيها الاستعمار الصهيوني والامبريالية الغربية وحتى بعض الانظمة العربية ، وقد سبق لها أن اعربت عن رأيها هذا في كتاب بعنوان « القضية الفلسطينية » سبب لها نشره متاعب جمة . وقد تكون شعرت ان جمهور قراء الكتب السياسية يبقى محدودا مهما بلغ انتشارها ، ولهذا لجأت الى واسطة الرواية المثيرة المليئة بالمغامرات والعنف وحتى الجنس ، بغية صدم الجمهور الغربي الراضي عن نفسه في برجه العاجي وايصال القضية الفلسطينية الى وعيه .

وفي هذا الهدف المحدد نجحت الرواية . فهي